

٤ ٥ ٦ ٧ ٨

لننقُ برحلةٍ عبر التاريخ، إلى الألف الثالث قبل المسيح، فنلتقي بإبن "مايا (MAÏA)" بنت "عتل (ATLAS)" - أُنْ للملك الجبيلي "إيل". إنه "ثور (THOR)" مؤسس العهد الذهبي الأول في تاريخ الإنسانية وواضع أول أبجدية في العالم. هو مخترع الكتابة التصويرية (الهيروغليف) التي استعملها الفراعنة في ما بعد واستنبطوا منها "صورهم".

حملت التوراة إسم كاتبها تور الذي كان موسوعة شاملة للمعرفة، ومرجعاً للعلم والفن واللاهوت والتاريخ... وتخرّج من مدرسته سنخوني أتْن وجيرومبعل وموخوس وزينون وبيتاخور وإقليد وفيلون وعظماء الفكر الإنساني... وطبعاً مهّد الطريق أمام "قدموس" مخترع الأبجدية ومعلم معلّم العالم.

في القرن السادس عشر ق.م. ولد ذاك اللبباني الذي أعطى "التاريخ" تسميته، ومن صور، انطلق عهد "القدامسة" - عصر العقانة الذي أغنى حضارات المتوسط، وبنى أعظم مدنها، وأعطى أراضيها الأسماء التي نعرفها اليوم. فقدموس لم يعلم الأبجدية وحسب، بل علم الهندسة والرياضيات وأساليب البناء والزراعة وطريقة صنع الخمر... لولاه لما كانت الحضارة اليونانية، وكانت "أوروبا (حاملة إسم أوروبا - أخت قدموس)" لا تزال مرتعاً للقبائل.

...إثنان وعشرون حرفاً: أبجدية لغة وفكر ومعرفة وتدوين. وما هو التاريخ إلا سجلّ مدونٌ لحركات الفكر ومسيرة تطور بشري وارتقاء إنساني مستمرّ. وُضعت هذه الأحرف بمنهجية علمية سليمة، تأخذ بعين الاعتبار طريقة عمل العقل البشري من حيث ولادة الفكرة بلغة اللسان، والتناسق بين الفكرة والطريقة الأمثل للتعبير عنها وتسجيلها، وبالتالي طريقة الإنتاج الفكري بعمقها "التصنيعي"، وليس فقط تدوينها وحفظها:

K	9	7	Δ	9	Y	Z	⊕	⊕	Y	
A	B	C	D	H	O	Z	(ح)	(ط)	Y	K
6	4	4	7	0	J	h	9	9	W	T
L	M	N	S	(ع)	F	(ص)	(ق)	R	(ش)	T

قامت الأبجدية الفينيقية على قاعدة واضحة: لكل نبرة (phoneme) واحدة رمزاً (signe) واحداً، خلافاً للأبجديات واللغات التي قامت فيما بعد بتدوير هذه الأبجدية، بل تشويهاها حين خالفت هذه القاعدة وأوجدت عدة أحرف أو مجموعة من الأحرف للتعبير عن نبرة واحدة، أو التعبير عن نبرة واحدة بعدة رموز وأحرف محتملة... ممّا خلق فوضى تعبيرية في معظم اللغات اليوم، تؤثر سلباً على سرعة الإنتاج الفكري الذي ينبع من وتيرة التواصل والتفاعل بين أصحاب المعرفة.

بقيت هذه القاعدة غير متبعة، حتى بعد نجاح بعض الإصلاحات اللغوية التي لم تأخذ بعين الاعتبار سوى ملاقة اللغة للهوية الوطنية والقومية للأمم (مثلاً: الانتقال من اللاتينية إلى اللغات القومية لشعوب أوروبا) دون الغوص في آلية تركيب الأبجدية، ومدى ملاءمتها للفظ اللساني المرجو التعبير عنه.

من يدرس مسيرة تطور اللغات في العالم، يلحظ سقوط اللغات غير المستعملة (وإن كانت رسمية أو مقدّسة) أمام لغة اللسان، المتميزة بأنها غالباً ما تكون أكثر اختصاراً وأناقةً وتعبيراً وفعاليةً. فاللغة هي كالإنسان، تشيخ وتموت، وهذا ما حصل

مع اللاتينية، عندما بدأت أول محاولات تطويرها في القرن الثالث عشر، مع الشاعر الإيطالي دانتي، الذي كتب بلغته المحكية. وكذلك فعل ديكارت عندما وضع كتابه "العناصر" باللغة العامية...

وما زلنا ننتظر "العقل" اللبناني كي يصبح أكثر تقبلاً للخطوة التطويرية التالية، والتي بدأت تنبت معالمها مع المعلم سعيد عقل حين وضع الأبجدية اللبنانية الحديثة:

Ç	B	P	T	Ʀ	J	X	K	D	D	R	Z
همزة	B	P	T	(ط)	J	(ح)	(خ)	D	(ض)	R	Z
Z	S	S	C	Y	G	G	F	V	Q	L	M
(ظ)	S	(ص)	(ش)	(ع)	(غ)	G	F	V	(ك)	L	M
N	H	W	A	I	E	O	U	Y			
N	H	(و)	A	I	E	O	U	(ye)			

...كما أنها بدأت تنضج مع إنتشار الإنترنت، حيث يتجلى توق العقل اللبناني إلى التعبير بعفوية كلية، وباستخدام هذه الأبجدية "العقلية" كوسيلة التعبير عن اللغة اللبنانية المحكية - مع استبدال الأحرف التابعة للألفاظ المفحمة بأرقام:

ح = 7، ء = 2، ع = 3، إلخ...

هذا الواقع ليس مردّه "الموت اللساني" للغة العربية وحسب، بل عدم تكامل هذه اللغة مع المكونات الإجتماعية والثقافية للحضارة اللبنانية، ولغتها المنبثقة عن تاريخ وتفاعل إنساني غني ومنفتح على العالم، بحيث ان اللغة اللبنانية الحديثة متأثرة بلغات قديمة وحديثة أخرى غير العربية (الأرامية والسريانية واليونانية والتركية والفرنسية)، ساهمت في التكوين العامية الحديثة بدرجات متفاوتة، من حيث الكلمات وتركيب الجمل وصور التعبير...

علينا أن نتبع منهجاً واحداً، متماثياً مع مسيرة تطور الفكر البشري عبر التاريخ، يقرّ بوجود مواكبة اللغة للعصر، وتقدّمها معه باستمرار، مع ضمان تماسك المقومات الأساسية للغة، وانسجامها مع الهوية الحضارية للأمة اللبنانية.

فلا يجوز أن نتكلم بلغة الجاهلية في عصر الذرة، ولا بلغة أبو النّوّاس في الألفية الثالثة.

ولا يجوز أن تكون اللغة الرسمية في الدولة اللبنانية غير اللغة اللبنانية.

لَبَّيْكَ لِبْنَان

LABBAYQ LEBNAAN

*

* *

شادي الزغبى

CAADI L ZEGBE

حركة القومية اللبنانية

XARAQIT L ĞAWMIYYE L LEBNAANIYYE